تسلية الصابر على الحمى والأوصاب، بما له من رفعة الدرجات، وتكفير السيئات، وعظيم الثواب.

خطبة جمعة ألقاها

أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي

وفقه الله وهداه وسدده

كانت هذه الخطبة في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

بتاريخ ٦ شوال ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب٧٠ - ٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة،

وكل ضلالة في النار.

أيها الناس أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْـخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيَاحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا، حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، وَمَثَلُ الْـمُنَافِقِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ الْـمُجْذِيَةِ الَّتِي لَا يُصِيبُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً**»(١).

وأخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، ولفظه: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْـمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْـمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ**»(٢).

والخامة من الزرع: أي الطائفة والقطعة من الزرع اللَّيِّن الغض الرطب، فهذا مَثَل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الرياح تميلها مرّة

---

(١) أخرج البخاري(٥٦٤٣) ومسلم (٢٨١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٩).

وتعدلها مرة أخرى، ومثل المنافق -وفي بعض الروايات لمسلم: **«ومثل الكافر»** - كمثل الأرزة المجذية في أصلها - والأَرْزَة: هي نوع من الشجر يكون أصلها عظيما، وثباتها في الأرض شديدا، فهذا مثل المنافق كمثل الأرزة المجذية على أصلها، أي كشجرة ثابتة منتصبة، لا تحركها الرياح حتى يكون انجعافها أي: انقلاعها مرة واحدة .

ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ حال المؤمن، وحال المنافق في هذه الحياة الدنيا، فالمؤمن مُعرَّض للبلاء، كالخامة من الزرع التي تأتيها الرياح فمرة تُميل هذا الزرع، تُرَقِّدُه على الأرض، ومرة أخرى ترفعه الرياح وتجعله مستويا منتصبا.

وأما المنافق فهو كشجرة عظيمة الأصل، كشجرة قوية الجذر، لا تحركها الرياح ولا تؤثر فيها، حتى يكون انقلاعها مرة واحدة، فالمؤمن في هذه الحياة مُعرَّض للبلاء، يصيبه المرض، يصيبه الفقر، تصيبه الفتن والابتلاءات، تتوالى عليه الشدائد. وأما المنافق فغالباً ما تجده في عافية، وقوة جسد، وصحة، وإذا ابتُلي ببلاء فإنما يبتليه الله تعالى ليعذبه به،

وليذيقه بعض ذنوبه وسيئاته، وليعجِّل له قسطاً من عقوبة الآخرة في الدنيا، وأما المؤمن فإنه وإن ابتلي فبلاؤه رحمة، فبلاؤه تكفير، فبلاؤه رفعة في درجته، فبلاؤه تطهير له من ذنوبه وسيئاته.

فالمؤمن مبتلى في هذه الحياة الدنيا، وما يصيب المسلم من مرض أو بلاء فإنه يرجو أجره عند الله، ويحتسب ثواب ذلك عند الله جل وعلا، فلا يتسخط، ولا يتضجر، بل يعلم أن الله تعالى ابتلاه لأنه يحبه ويريد به خيرا، أخرج البخاري في صحيحه عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»(١). أي يبتله بالمصائب في الدنيا. وأخرج الترمذي عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ**

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٥).

فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

فابتلاء المؤمن في هذه الحياة الدنيا رحمةٌ من الله به، وتطهيرٌ، ودليلٌ على أن الله سبحانه وتعالى أراد به خيراً.

فما نراه ونسمعه في أيامنا هذه مما يصيب الناس من أمراض وحُـمَّى وأوجاع وأوصاب، عليهم أن يحتسبوا في ذلك الأجر من الله جل وعلا، ويعلموا أن الله ابتلاهم لـحُبِّه لهم، فإن هذا باب ثواب عظيم، وباب تكفير لكثير من الذنوب والسيئات، بل تطهير وتنقية منها، وعلى قدر إيمان المؤمن يُبتلى في هذه الحياة فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦).

الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»(١).

ولذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشدُّ الناس بلاء في هذه الدنيا، يُضَعَّفُ لهم البلاء على غيرهم من الناس، جاء في الصحيحين عن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ [والوَعْكُ: هو ما يصيب الإنسان من آثار الحُمَّى وآلامها، من رجفة وارتعاد في جسده، وهكذا ما يجده من بَرْدٍ في أعضائه، وهكذا ما يجده من ثقل المرض وآثاره] فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**» فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجَلْ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ الله لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٨١) والترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠٢٣) من طرق عن عَاصِم بن أبي النجود، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ به. وهذا إسناد حسن من أجل عاصم فإنه صدوق.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٠) ومسلم (٢٥٧١).

وفي سنن ابن ماجه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ: «**إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الصَّالِـحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُـحَوِّيهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ**»(١).

«إن كان أحدهم» أي: من الصالحين، ليفرح بالبلاء حين ينزل به كما يفرح أحدكم بالرخاء، أي: لما يعلم من الثواب، لما يعلم من الأجر الذي أَعَدَّ الله سبحانه وتعالى له، اذا ابتلاه وصبر على ذلك.

جاء عَنْ مَسْرُوقٍ بن الأجدع رحمه الله عند ابن أبي شيبة أنه قَالَ: «**يَوَدُّ أَهْلُ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤) فقال حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به. وهذا إسناد حسن؛ هشام بن سعد وإن كان فيه ضعف إلا أنه أثبت الناس في زيد بن أسلم، فروايته عنه صحيحة.

الْبَلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ أَجْسَادَهُمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تُقْرَضُ بِالْـمَقَارِيضِ»(١). يودُّون ذلك حين يرون الثواب، أي: ثواب ما حصل لهم من بلاء في الحياة الدنيا، لو أن أجسادهم كانت تقرض بالمقاريض، أي: كانت تقطّع بالسكاكين، لما يرونه من ثواب البلاء، فيتمنَّون لو أن البلاء اشتد عليهم ليضاعف لهم الأجر. ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام عن هؤلاء الصالحين: «**وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ**». لما يعلم من الثواب في البلاء، لما يعلم من محبة الله جل وعلا لمن ابتلاه، لأن المنافق -كما تقدم- وكذلك الكافر لا يبتلى كما يبتلى المؤمن، جاء في مسند الإمام أحمد والأدب المفرد للبخاري بإسناد حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَعْجَبَهُ صِحَّتُهُ وَجَلَدُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هل أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَمٍ قَطُّ؟**» [وأم ملدم من أسماء الحُمَّى] قَالَ: وَمَا أُمُّ مِلْدَمٍ؟ قَالَ: «**حَرٌّ**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٨٢٩) فقال حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ به. وهذا إسناد رجاله ثقات.

تنبيه: جاء هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٦٠١) وفي إسناده رجل مبهم.

يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ»، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، قَالَ: **«فَهَلْ أَخَذَكَ الصُّدَاعُ قَطُّ؟»** قَالَ: وَمَا الصُّدَاعُ؟ قَالَ: **«عُرُوقٌ تَضْرِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ»**، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»**(١).

من أحبَّ أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا الكافر، الذي لم يصبه البلاء، ولم يصبه المرض، بل لم يعرف المرض.

وجاء عند معمر في الجامع والبيهقي في الشعب بإسناد صحيح عَنِ أبي الرَّبَابِ الْقُشَيْرِيِّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَا لِأَمِيرِكُمْ - وَأَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ - قَالَ: قُلْنَا: هُوَ شَاكٍ، قَالَ: وَاللهِ مَا اشْتَكَيْتُ قَطُّ - أَوْ قَالَ: وَاللهِ مَا صُدِعْتُ قَطُّ - قَالَ: فَقَالَ أَبُو

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٥) والبخاري في الأدب المفرد (٤٩٥) من طرق عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به. وهذا إسناد حسن.

الدَّرْدَاءِ: «**أَخْرِجُوهُ عَنِّي لِيَمُتْ بِخَطَايَاهُ، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكُلِّ وَصَبٍ وَصِبْتُهُ، حُمْرَ النَّعَمِ إِنَّ وَصَبَ الْـمُؤْمِنِ يُكَفِّرُ خَطَايَاهُ**» (١).

وجاء في رواية عند ابن أبي شيبة عَنْ سَالِمٍ بن أبي الجعد، قَالَ: رَأَى أَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمًا رَجُلًا، فَتَعَجَّبَ مِنْ جَلَدِهِ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «**هَلْ حُمِمْتَ قَطُّ؟، هَلْ صُدِعْتَ قَطُّ؟**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «**بُؤْسٌ لِهَذَا يَمُوتُ بِخَطِيئَاتِهِ**»(٢). فأبو الدرداء رضي الله عنه أشفق على هذا الرجل أن يموت بذنوبه وخطاياه، وأقسم أنه لا يحب حُمْر النعم أي: الإبل الحمراء العظيمة، مقابل ما يصيبه من ليالي المرض، وليالي الحمى والشدة التي تصيبه، وذلك لأن المرض كفارة للذنوب والخطايا.

---

(١) أخرجه معمر في الجامع (٢٠٣١٣) ومن طريقه البيهقي في الشعب (٩٤٣٦) من طريق أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنِ أبي الرَّبَابِ الْقُشَيْرِيِّ به. وهذا إسناد صحيح، أبو الرباب القشيري هو مُطَرِّف بْن مالك قال فيه الذهبي في تاريخ الإسلام: بَصْرِيٌّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَثِقَاتِهِمْ. وبقية رجاله ثقات معروفون.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٨١٨) فقال حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَالِمٍ وهو ابن أبي الجعد به. ورجاله ثقات، وسالم هو ابن أبي الجعد لم أجد له رواية عن أبي الدرداء.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة بسند صحيح أنه قَالَ: «**مَا مِنْ وَجَعٍ يُصِيبُنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحُمَّى، لِأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنِ ابْنِ آدَمَ، وَإِنَّ الله لَيُعْطِي كُلَّ مَفْصِلٍ قِسْطًا مِنَ الْأَجْرِ**»(١).

فأبو هريرة رضي الله عنه يخبر أن أحب مرض يصيبه هو الحمى، لأنها تدخل في كل أعضائه، ولا تدع شيئاً من الجسد إلا دخلته، وهو يرجو بذلك ثواب الله الذي يقسم لكل عضو من هذه الأعضاء التي أصابتها الحمى والمرض نصيبه من الأجر والثواب.

وجاء عن خالد بن الوليد رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة بسند صحيح أنه طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، ثُمَّ أَحْسَنَ عَلَيْهَا الثَّنَاءَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ، لِأَيِّ شَيْءٍ طَلَّقْتَهَا؟ قَالَ: «**مَا طَلَّقْتُهَا لِأَمْرٍ رَابَنِي مِنْهَا ، وَلَا سَاءَنِي ، وَلَكِنْ لَمْ يُصِبْهَا عِنْدِي بَلَاءٌ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٨١٧) وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٥١) من طريق إِيَاسِ بْنِ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ عَطَاءٍ بن أبي رباح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به. وهذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٩٢٥٤) والبيهقي في الشعب (٩٤٤٧) من طرق عن إِسْمَاعِيل بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: طَلَّقَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ امْرَأَتَهُ ..... فذكره. وهذا

فخاف خالد رضي الله عنه من هذه المرأة التي لم تمرض ولم يصبها عنده بلاء منذ تزوجها، فطلَّقها خوفاً ألا تكون من الصالحين، لأن الصالح معرَّض للبلاء في هذه الحياة الدنيا، معرَّض لما يكفِّر الله سبحانه وتعالى عنه به ذنوبه وسيئاته، وعلى قدر إيمانه يكون بلاؤه، فلا تبتئس أيها المؤمن بما يصيبك من بلاء أو مرض أو شدة؛ فإن ذلك رحمة من الله جل وعلا بعبده المؤمن، أقول ما سمعتم والحمد لله رب العالمين .

إسناد صحيح.

* الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس: الحمى في الدنيا هي حظ المؤمن من نار الآخرة، كما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام، فعند أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا، وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ وَعْكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَبْشِرْ فَإِنَّ الله يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْـمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ»**(١).

هي ناري، أي: هذه الحمى، وما يصيب العبد من شدة حرارتها، هي

---

(١) هذا الحديث فيه كلام كثير، وبحث واسع، وحاصل ذلك أن ما تضمنه هذا الحديث من أن الحمى هي حظ المؤمن من نار الآخرة، حسن بشواهده، وقد جمعتُ ذلك وبيَّنتُه في رسالة بعنوان "الدُّرَّة الفاخرة في بيان أن ما يصيب المؤمن من الـحُمَّى في الدنيا هو حظُّه من نار الآخرة" والله المستعان.

حظ المؤمن من نار الآخرة، لأن الحمى من فيح جهنم كما قال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ شِدَّةَ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَابْرُدُوهَا بِالْمَاءِ**». فالحمى كما قال الله عز وجل: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظه من نار الاخرة، لتكون نصيبه من نار الآخرة، فيلقى الله تعالى طاهراً نقياً، إن هو مات رحمه الله وغفر له، وإن هو عاش كان ذلك تطهيرا له في هذه الحياة، كما جاء عند الإمام أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ اللهُ: اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ**»(١).

إن شفاه الله من ذلك المرض غسله وطهره، فكان ذلك المرض تطهيراً له من كل ذنوبه، وإن قبضه الله إليه وأماته، قبضه نظيفاً نقياً من الذنوب طاهراً منها فغفر له ورحمه.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٥٠٣) فقال حَدَّثَنَا حَسَنٌ، وَعَفَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سِنَانِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو رَبِيعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ به. وهذا إسناده حسن، وله شواهد يكون بها صحيحا.

فالمرض تكفير للذنوب وتطهير للعبد منها، جاء في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «**لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ الله**» فَقَالَ لَهُ: «**لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ الله**» قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَنَعَمْ إِذًا**»(١).

ومعنى «طهور» أي من الذنوب والسيئات، فالمرض تطهير، وهذا خبرٌ من النبي عليه الصلاة والسلام أن المرض تطهير، وليس دعاءً، كذا قال أهل العلم.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ**

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٦).

وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(١).

وفي صحيح مسلم (٢٥٧٥) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْـمُسَيَّبِ فَقَالَ: «**مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْـمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟**» قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: «**لَا تَسُبِّي الْـحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْـحَدِيدِ**».

ومعنى تزفزفين: أي ترتعدين وتتحرَّكين حركة شديدة من شدة الحمى، فهذه المرأة رضي الله عنها سبَّت الحمى ولم تكن عالمة بذلك، حتى بيَّن لها النبي ﷺ ما فيها من الأجر.

ولذا اختار النبي ﷺ أن تكون الحمى في أحب الناس إليه، وفي أقرب الناس عنده، جاء عند البخاري في الأدب المفرد بإسناد صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَتِ الْحُمَّى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتِ:

---

(١) أخرج البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣).

ابْعَثْنِي إِلَى آثَرِ أَهْلِكَ عِنْدَكَ، فَبَعَثَهَا إِلَى الْأَنْصَارِ، فَبَقِيَتْ عَلَيْهِمْ سِتَّةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَتَاهُمْ فِي دِيَارِهِمْ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ دَارًا دَارًا، وَبَيْتًا بَيْتًا، يَدْعُو لَهُمْ بِالْعَافِيَةِ، فَلَمَّا رَجَعَ تَبِعَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَمِنَ الْأَنْصَارِ، وَإِنَّ أَبِي لَمِنَ الْأَنْصَارِ، فَادْعُ الله لِي كَمَا دَعَوْتَ لِلْأَنْصَارِ، قَالَ: «**مَا شِئْتِ، إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيَكِ، وَإِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْـجَنَّةُ**»، قَالَتْ: بَلْ أَصْبِرُ، وَلَا أَجْعَلُ الْـجَنَّةَ خَطَرًا(١).

إن شئت صبرت على هذا المرض ولك الجنة، قالت: يا رسول الله اصبر، ولا أجعل الجنة خطراً، أصبر على هذا البلاء ولا أضحي بالجنة، ولا وأخاطر بها.

فالنبي عليه الصلاة والسلام أرسل الحمى إلى أحب الناس إليه، وآثر الناس عنده، وهم الأنصار رضي الله عنهم، لما يعلم عليه الصلاة والسلام

---

(١) البخاري في الأدب المفرد (٥٠٢) فقال حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِيَاسُ بْنُ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به. وهذا إسناد صحيح.

من الحسنات والأجور والدرجات والتكفيرات التي يجعلها الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن إذا أصابه هذا البلاء.

فالبلاء رحمة من الله جل وعلا بالمؤمن، فلا يبتئس المؤمن مما يصيبه من حمى أو مرض أو تعب، وليحذر أيضاً أن يتسخط أو يتضجر حتى لا يفوته الأجر، فرُبّ إنسان يُصاب بالمرض ولا يحصل له الأجر والثواب بسبب تسخُّطه على الله، وعدم رضاه بما كتب الله له، ورُبّ إنسان يخرج من هذا المرض وقد طهَّره الله جل وعلا من الذنوب، ولم يبقَ عليه خطيئة بسبب صبره واحتسابه، فإن حيي بعد ذلك حيي طاهراً نقياً من الذنوب، وإن مات لقي الله جل وعلا نقياً من ذنوبه كما قال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالـمُؤْمِنِ وَالـمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١).

ولا ينافي ذلك أن الإنسان يدعو الله تعالى بالعافية، فالإنسان مأمور أن يسأل الله العافية، وأن يدعو الله تعالى بالعافية، فإن المرض قد يُعِيْقُهُ عن

---

(١) أخرجه أحمد (٧٨٥٩) والترمذي (٢٣٩٩) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...فذكره. وهذا إسناد حسن.

الطاعة، وعن فعل الخيرات، ولكن يسأل الله العافية فإن أصابه البلاء والمرض صبر على ذلك، ورضي بما قسم الله له، وفرح بأن هذا شيء اختاره الله له، فيفرح بما اختار الله له.

بعض السلف لما سمع من النبي ﷺ بعض الأحاديث في فضل من أصابته الحمى، سأل الله تعالى ذلك، كما جاء عن أُبَيٍّ بن كعب بسند حسن عند الإمام أحمد وغيره أنه حين سمع النبي ﷺ يذكر ما في الحمى من تكفير الخطايا قال: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: «**وإن كان شيئاً يسيراً**». فقال: اللهم اجعل الحمى لا تفارقني بما لا يمنعني من صلاة جماعة، وبما لا يمنعني من جهاد، وبما لا يمنعني من فعل خير، فلم تفارقه الحمى حتى مات، ولم يكن أحد يَمَسُّ جسده إلا وجد حرّه، ولكن لم يمنعه ذلك عن صلاة ولا جهاد ولا شيء من فعل الخير(١)، لأنه دعا الله

---

(١) أخرجه أحمد (١١١٨٣) وابن حبان (٢٩٢٨) والحاكم (٧٨٥٤) وأبو يعلى (٩٩٥) من طرق عن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبِ بن عجرة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ، رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ هَذِهِ

الْأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا مَاذَا لَنَا بِهَا؟ قَالَ: «**كَفَّارَاتٌ**» فَقَالَ أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ الله وَإِنْ قَلَّتْ؟ قَالَ: «**شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا؟**» قَالَ: «فَدَعَا أُبَيٌّ، عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُفَارِقَهُ الْوَعَكُ حَتَّى يَمُوتَ، وأَنْ لَا يَشْغَلَهُ عَنْ حَجٍّ وَلَا عَمْرَةٍ وَلَا جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ». قَالَ: «فَمَا مَسَّ رَجُلٌ جِلْدَهُ بَعْدَهَا إِلَّا وَجَدَ حَرَّهَا حَتَّى مَاتَ». ورجال إسناده ثقات سوى زينب بنت كعب وهي زوجة أبي سعيد الخدري ﷺ فقد قيل إن لها صحبة، روت عن زوجها أبي سَعِيد الخدري وأخته الفريعة بنت مالك، وروى عنها ابنا أخويها سعد بن إسحاق وسُلَيْمان بن محمد، وهما ثقتان وذكرها ابن حبان في الثقات، فيظهر لي أن حديثها هذا لا بأس به مع هذه القرائن فإنها ترويه عن زوجها، ويرويه عنها ابن أخيها.

وللحديث طريق أخرى عند الطبراني في الكبير (١/ ٢٠٠) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٥) قال الطبراني: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خُلَيْدٍ الْحَلَبِيُّ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الطَّبَّاعُ، حدثنا مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا جَزَاءُ الْحُمَّى؟ قَالَ: «**تَجْرِي الْحَسَنَاتُ عَلَى صَاحِبِهَا مَا اخْتَلَجَ عَلَيْهِ قَدَمٌ أَوْ ضَرَبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ**». قَالَ أُبَيٌّ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُمَّى لَا تَمْنَعُنِي خُرُوجًا فِي سَبِيلِكَ، وَلَا خُرُوجًا إِلَى بَيْتِكَ، وَلَا مَسْجِدِ نَبِيِّكَ» قَالَ: فَلَمْ يُمْسِ أُبَيٌّ قَطُّ إِلَّا وَبِهِ حُمَّى. ومحمد بن معاذ بن أُبي وأبوه مجهولان.

* وممن جاء عنه من السلف أنه سأل ذلك سعد بن معاذ الأنصاري ﷺ ففي الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٢٢) أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَبْدِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُتَوَكِّلِ أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الْحُمَّى فَقَالَ:

تعالى بذلك، وإنما دعا الله تعالى بذلك رغبةً في مثل هذا الثواب وهذا الجزاء، وإلا فسؤال العافية أفضل، وسؤال العافية أكمل؛ وهو الذي أرشد إليه النبي ﷺ أصحابه وعلَّمهم إياه، فلا يدري المؤمن ما يعرض له في البلاء، ولا يدري كيف يكون حاله، هل يصبر عليه أو لا يصبر، فالأفضل أن يسأل الله العافية، ويدعو الله بالعافية، فإن نزل به المرض، ونزل به البلاء، صَبَرَ ورَضِيَ بما كتب الله له، ورَجَا الأجر والثواب، واحتسب ذلك من الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي علمَّه النبي ﷺ أصحابه أن يسألوا الله العافية.

أسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته.

«**مَنْ كَانَتْ بِهِ فَهِيَ حَظُّهُ مِنَ النَّارِ**» فَسَأَلَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَبَّهُ فَلَزِمَتْهُ، فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا. وهذا مرسل صحيح الإسناد، فأبو المتوكل هو الناجي علي بن داود من ثقات التابعين.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها أنت وليها ومولاها.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودَرَكِ الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تَـحوُّل عافيتك، ومن فُجَاءة نقمتك، ومن جميع سخطك.

اللهم ارفع عن المسلمين البلاء والوباء، اللهم ارفع عن المسلمين البلاء والوباء، اللهم ارفع عن المسلمين البلاء والوباء، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.